كتاب جديد

مذكرات شاه ايران السابق في المنفى

Mohammad Reza Pahlavi

Réponse à l'Histoire

Albin Michel

رد .. على التاريخ

مـــنى رجـــب

كشفت صحيفة « النيويورك الأمريكية » هذا الأسبوع تفاصيل المؤامرة التى دبرتها الولايات المتحدة ضد شاه إيران السابق . فقد استهدفت رحلة الجنرال هويزر السرية إلى إيران قبيل رحيل الشاه . الاتفاق مع الجيش ليتولى شهبور بختيار السلطة فى النظام الجديد . لكن الجيش كان ضعيفا . والطريق أمام آية الله الخمينى ممهدا . فعاد وأعلن قيام الثورة بعد استفتاء شعبى يوم ٣١ مارس ١٩٧٩ . وكما ذكر شاه إيران السابق فى مذكراته من المنفى والتى تنشر أهم فصولها تباعا . فإن الجنرال هويزر قد التقى بالملك خارج البلاد كفأر ميت . إن مذكراته التى صدرت فى باريس منذ أيام باللغة الفرنسية فى ٣٠٠ صفحة بعنوان « رد على التاريخ » . تزيح الستار عن خبايا الأحداث الدامية فى إيران . ففيها يعترف ويتهم ويحلل ويفضح القوى المتنافرة التى تحالفت لإسقاطه . كما يتحدث عن مهمة الجنرال هويزر ودور الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى والصحافة الغربية وآية الله الخمينى . والمخابرات الإيرانية (السافاك) . هو يقدم إجابات لما يحدث فى منطقة من الممكن أن تشهد اندلاع حرب عالمية ثالثة بين لحظة وأخرى . وهى وجهة نظر تنتظر حكم التاريخ . وتحلوها مستقبل لورة لم تتضح معالمها بعد .

شاه إيران السابق .

إلى المعذبين الذين مانوا فى سبيل الوطن :

فى مقدمة الكتاب الذى أهداه الشاه السابق إلى ذكرى كل المعذبين من الإيرانيين والإيرانيات الذين ماتوا فى سبيل الوطن . يقول « منذ أكثر من عام صدر فى طهران كتابى الأخير . وقد كان كتاب الأمل الذى قدمت فيه إلى شعبى مشروعاتى وآمالى للمستقبل . كنت أريد إيران متحضرة متقدمة متطورة تنعم بالرفاهية الاقتصادية والتعليم والديمقراطية الصلبة . لقد كنت أرى الأجيال الإيرانية المقبلة تتبوأ عن جدارة مكانتها التى تستحقها فى العائلة الانسانية الكبيرة . كنت أتمنى إخراجها إلى الأبد من ظلمات العصور الوسطى التى انتشلناها منها منذ خمسين عاما فقط . وخلال فترة حكمى لم أكن أحيا إلا لتحقيق هذا الحلم الذى بدأ يتحول إلى حقيقة . لقد عملت جاهدا بلا كلل . وواجهت مؤامرات ومخاطر وصعوبات لاحصر لها فى الداخل والخارج . وارتكبت أخطاء بالطبع . لكن كفاحى لم يكن خطأ . ومن واجبى أخيرا أن أبين كيف يتم تخريب وتدمير أمة بواسطة أناس ينظرون إلى المسئولية . وهذه هى إجابتى للتاريخ » .

ثم تلى مقدمة الكتاب فصول يستعرض فيها الشاه السابق تاريخ إيران الذى تمتد جذوره إلى ثلاثة آلاف عام . ثم ينتقل إلى بداية تولى أسرة بهلوى السلطة متمثلة فى والده رضا شاه بهلوى الأكبر الذى تم تتويجه عام ١٩٢٦ . وكفاحه من أجل تحقيق وحدة إيران وحصولها على استقلالها الوطنى . ثم فى عام ١٩٤١ تنازل رضا شاه عن العرش أمام البريطان لابنه محمد رضا بهلوى عندما علم بدخول الحلفاء والقرب البريطانين من طهران . بعد ذلك يتحدث عن المتغيرات التى مرت بإيران منذ توليه السلطة . وأهم التواريخ هى : توقيع المعاهدة الثلاثية بين إيران وبريطانيا وروسيا التى اعترفت فيها الدولتان باستقلال إيران السياسى وجلاء الحلفاء تماما عن أراضيها سنة ١٩٤٢ . ثم الروس سنة ١٩٤٦ . ثم أهم المشاكل والصعوبات التى واجهته وأهم القرارات التى اتخذها مثل تأميم البترول سنة ١٩٥١ والثورة البيضاء سنة ١٩٦٣ . ثم أهدافه التى تركزت فى محاولة اللحاق بالدول الغربية وتحديث إيران بأقصى سرعة ممكنة . مما أدى فى النهاية إلى الإطاحة به ورحيله مع الشاهبانو فرح ديبا فى ١٦ يناير ١٩٧٩ .

ونبدأ فى هذه الحلقة عرض الفصول التى تتناول أحداث الشهور الأخيرة فى إيران . التى أطلق عليها فى كتابه « التحالف المشئوم بين الأحمر والأسود » ويبدؤها بدور الصحافة فى تصعيد الأحداث وإثارة الجماهير .

تحالف وسطاء الجماهير

لعبت الصحافة دورا رئيسيا فى سياق الأحداث التى كانت بلادى مسرحا لها خلال السنوات الثلاث الأخيرة . وإن كنت أقدر ذلك إلى حدما . فإن ذلك لا يعنى أن سلوكهم كان دائما شريفا . فإن تلك المزايدة التى انساق فيها بعض الصحفيين أثناء التنقيب عن أخبار . أراد كل منهم أن تكون أكثر إثارة من أخبار زميله . قد أدت فى النهاية إلى أسوأ النتائج . إنى أدرك أن الاضطرابات قد أغرت كل صحفى جاء إلى طهران بالكتابة عنها . لكنى فى المقابل لا أفهم لماذا تحولوا بداية مظاهرة صغيرة راح ضحيتها ثلاثة موتى وعشرة جرحى إلى عشرات من الموتى ومئات الجرحى . لقد كان هذا هو دورهم فى إيران . ولما بدأ الموقف يتفاقم شهرا بعد شهر لعب الصحفيون دورا كريها كشركاء فى تحريك الجماهير وتضخيم الأحداث التى أراد البعض تصعيدها

إن الحملة الصحفية الشعواء ضد إيران لا يرجع تاريخها إلى تلك السنوات الأخيرة . بل هى تخطط استعرق تنفيذه وقتا طويلا . بدأ منذ ١٩٥٨ عندما قررت إيران أن تسيطر على بترولها . ولم تتوقف الحملة الضارية التى بلغت ذروتها فى عام ١٩٧٣ . ثم فى الأعوام التالية . عندما أعلنت موقفى المعروف بأن سعر البترول بنسبه الحقيق . ما زلت أتذكر جيدا عبارات التهديد والسباب التى وجهها إلينا السيد سيمون وزير المالية الأمريكى عندما أعلنت على الملأ وجهة نظر منتجى البترول . ولم تتصفى الصحافة العالمية والصحافة الغربية بصفة خاصة . بل صرت رجل البترول المرتفع السعر . ولم يكلف أحد نفسه عناء شرح أسباب موقف حاولت شرحه كثيرا .

منذ تلك اللحظة لم تتوقف الحملات الصحفية ضدى . وإنى لأخيل بوضوح حتى سائق السيارة الغربى التى يرتفع سعر وقودها يوما بعد آخر . بل يحصل عليه بمشقة فى بعض الأحيان . فيقولون له « إنه خطأ الشاه » . وقد كان يصدقهم . متناسيا أن كل زيادة فى سعر الوقود تحظى بها مصلحة الضرائب فى وطنه . وأن ارتفاع أسعار البترول يضاعف أيضا من ثروة شركات البترول والدولة المستوردة والموزعين .

إن بلادنا هى بالطبع واحدة من الدول التى بذلت غاية طاقتها من أجل تشجيع شبابنا على استكمال دراساته فى الخارج . وعلى وجه الخصوص فى الولايات المتحدة . وإذا كان البعض منهم يعتقد أننا لم نقدم له ما يكفى . فإن الكثيرين يقدرون مزية استكمال دراساتهم فى جامعات مشهورة بعيدا عن أية مصاعب مادية .

وعندما سافرت فى شهر ديسمبر ١٩٧٧ مع الامبراطورة إلى الولايات المتحدة . أمضيت ليلة فى وليامزبورج حيث تجمع فيها عدة مئات من الطلبة الإيرانيين لإظهار ولائهم لى . فكنت معهم بضع لحظات . لكنى رأيت عن بعد بضعة أشخاص مقنعين يتجمعون حول علم أحمر عليه المنجل والمطرقة . ويصرخون بالسباب . لكن لماذا كانوا مقنعين ؟ ؟ .

كتبت بعض الصحف بسبب السافاك . لكن الحقيقة أن غالبيتهم لم يكونوا إيرانيين إنما محترفو معارضة وإثارة جندوا للمجىء إلى هناك . ولقد كان فى هذا التجمع خمسمائة متظاهر موالون لى . أما المعارضون فلم يتعدوا الخمسين . بيد أنى فوجئت فى اليوم التالى بأن الأرقام قد انعكست فى بعض الصحف التى كتبت أنه كان يوجد خمسون متظاهرا موالون للشاه ضاعوا وسط حشد من المعارضين . كما علقوا بنفس الأسلوب على المتظاهرين الذين جاءوا لاستقبالى أثناء توقف مع الامبراطورة فى واشنطون . إذ تجمع عدة آلاف من الإيرانيين الذين يعيشون فى الولايات المتحدة لتحيتنا . ومرة أخرى هاجمهم بعض المقنعين المسلحين بقراوات والسلاسل الحديدية . فلم تفضح الصحافة الأمريكية عن هوية المهاجمين . بل على العكس جاء عنوان إحدى الصحف كالآتى :

« من الذى دفع لأنصار الشاه ليجيئوا لتحيته ؟ ؟ » .

كما بدأت تتغلغل بين صفوف طلابنا فى الداخل كما فى الخارج حملة تخريب غاية فى النشاط هدفها قلب نظام الحكم . أفهمهم أن ٩٦ سيصبحون أبطالا لو حطموا كل شىء . وقد علمت أن التخريب قد تم معظمه بأموال ليبية تعدت الـ ٢٥٠ مليون دولار .

ولا يقل غرابة عن ذلك موقف بعض

الـ بى بى سى البريطانية التى اطلقت منذ ١٩٧٨ ليث حملة محمومة تهاجم نظامى فى برامجها الموجهة باللغة الفارسية . كما لو أن قائد أوركسترا خاصا قد أعطاها الضوء الأخضر لذلك الهجوم . ولن أذكر سلوك مراسلين معينين صحموا بإفراط فى الحوادث المؤسفة التى أصبحت بلادى مسرحا لها .

إن الحملة لبعض الصحف تعد فرصة . وأعتقد أن أحداث إيران قد أثرت بعض تجار الورق . . ثم ماذا أقول فى النهاية عن الترحيب الذى قوبلت به اللعنات التى كان يطلقها ضدى عجوز (نيفل لوشاتو) ونداءاته بالانتقام ؟ لقد دهش كثير من الفرنسيين لأنى لم أطالب الحكومة الفرنسية بأن تحاكمه عندما طردته العراق . ولكنى لم أكن أبالى بحديثه من هناك أو من أى موقع آخر . فلم يكن سوى دمية استخدمها من الخارج من أدانوا نظامى .

غير أنى لا أتهم الجميع . إذ أن عددا كبيرا من الصحفيين قد احتفظوا برباطة جأشهم وبرودهم . فقدموا للموقف صورة موضوعية .

وسوف يذكر التاريخ فى فى جميع الأحوال أن كل الصحفيين الذين رغبوا فى المجىء إلينا سواء المؤيدون منهم أو المعارضون . قد جاءوا وشاهدوا ما أرادوا وكتبوا ما يحلو لهم . ثم نقلوه إلى صحفهم . ترى ماذا كانوا سيكتبون عنى لو كنت قد أغلقت حدودنا أمام وسطاء الجماهير . كما هو حادث الآن فى إيران ؟

ولقد أبديت نفس روح التسامح . إذ كان مسموحا للتليفزيون الإيرانى بعرض المظاهرات التى اجتاحت إيران خلال الأسابيع الأخيرة ضدى .

كما لا يفوتنى أن أذكر أن بعض الصحف الحريصة على الموضوعية قد نشرت التحذيرات التى رأيت ضرورة توجيهها إلى الغرب .

فقبيل رحلتى إلى الولايات المتحدة فى نوفمبر ١٩٧٧ التقى فى الصحو أرنو بورجراف من صحيفة « النيوزويك الأمريكية » ليسألنى رأيى فى سيناريو تخيلوه فى بعض الكليات العسكرية الغربية . والسيناريو هو الآتى .

إن نظاما يساريا قد استتب فى إيران . وعندما أحس بالخطر طلب مساعدة السوفيت الذين أشعلوا حربا خاطفة من بحر قزوين حتى الخليج الفارسى . وسألنى مبعوث النيوزويك :

فى رأيك ماذا سيكون رد فعل الولايات المتحدة . واضعا فى الاعتبار مواقفها السابقة فى فيتنام وزائير وأنجولا ..... الخ . . ؟

فأجبته : يبدو أن كثيرا من الأمريكيين ومن بينهم برنانيون . يجهلون وجود معاهدة ثنائية حيوية بين إيران والولايات المتحدة . وأن المعاهدة تقضى بأنه بعد التشاور بين البلدين يكون على الحكومة الأمريكية أن تتدخل لمعاونتنا فى حالة هجوم دولة شيوعية أو موجهة من قبل شيوعيين . وعلى أمريكا حينئذ أن تقرر الوفاء بتعهداتها . أما فيما يخصنا فإننا سنق بارتباطاتنا .

فأصر مندوب النيوزويك :

ألا تعتقد أن الولايات المتحدة قد تلجأ إلى الاتفاق مع موسكو إذا لم يكن البترول مخصص للغرب مهددا ؟

فكانت إجابتى الآتية : ما هو الحد الذى يعده تدخل الولايات المتحدة لتحارب ؟ إن هذا يزداد غموضا يوما بعد يوم . إنه يتوقف أساسا على تقديركم لمخاطركم المستقبلة وعلى تفسيركم لبعض المبادئ . فهل تتحملون مثلا رؤية الإطاحة بنظام حليف مستقل ؟ .

وعندما لاحظت بعد ذلك أن ديون الدول النامية قد بلغت ٢٥٠ مليار دولار . بعد أن ذكرت صحيفة النيوزويك أن السويد وكندا وهولندا قد قررت إلغاء حوالى مليار دولار من ديونها . وأن الدول المدينة كانت تأمل فى إعفائها من سداد مجموع ديونها . عبرت عن قلق وأوضحت موقفى قائلا : إنى قد علقت آمالا كبيرة على الحوار بين الشمال والجنوب . الذى كانت نتيجته الوحيدة حتى الآن معروفة جزئيا . فحتى الآن مازال العالم الغربى ينظر إلى القوة التى تمكنه من إلغاء ديونه . فإذا لم يتم عقد اتفاق جديد حتى نهاية هذا القرن مع الدول المتخلفة . فإن ذلك سيؤدى حتما إلى الحرب . إنه لمن الخطورة أن يهيمن ١٠٪ فقط من سكان الأرض على ٩٠٪ من ثروات العالم .

كما ذكرت أن المشكلة ليست فى إعادة توزيع الثروات لأن ذلك لن يحل مشاكلنا إلا لأربع أو خمس سنوات قادمة . إنما الواجب هو معاونة الدول النامية على ابتكار مصادر جديدة للثروة . وإن الولايات المتحدة وأوربا الغربية واليابان هى الأقدر على ذلك . بل إن الشركات المتعددة الجنسية التى أشرفت على اكتشاف ثروات البلاد التى عملت فيها . يمكنها أن تلعب دورا رئيسيا فى خلق ثروات فى الدول المتخلفة . كما أوضحت فى عدة مناسبات أن بعض الدول الشيوعية قادرة على أن تلعب دورا هاما لأنها هى أيضا تمتلك ثروات ضخمة ولكنولوجيا متقدمة . وهى أيضا تبيع للعالم الثالث وغيره بنفس اسعار الأمريكيين . وعليهم أن يتحملوا مسئولية مماثلة للغرب واليابان فى إيجاد حل لمشكلة الطاقة العالمية . وإذا كان من الخطر ذكر الحقيقة فى الثهور الدفاع عنها .

خارج إيران بدا للناظرين أن أحداث ١٩٧٨ و ١٩٧٩ هى حركة فجرها الأئمة – كل الأئمة الشيعة الإيرانيين الذين يبلغ عددهم مئتين ألفا – وهذا خطأ فاحش لابد من تصحيحه لأنها حركة أقلية من الأئمة .

فعندما فكر والدى عام ١٩٢٥ فى أن يعلن قيام جمهورية إيرانية . منعه رجال الدين مؤكدين له أن الدفاع عن الدين واجب ملكى وليس جمهوريا . وعندما أصبحت امبراطورا بعد تنازل والدى عن العرش أقسمت بين الولاء للدستور والدفاع عن دينا الشيعى . وصرت بإجماع رجال الدين العاهل وحامى حمى الدين .

وتبعا لواجبى المزدوج كمؤمن وكمسلك . فقد بذلت غاية جهدى فى اتباع تعاليم القرآن ومبادئه فى المساواة والعدالة والاعتدال . وإذا كنت قد اتبعت تعاليم القرآن وفقا لتفسيرى الدينية . فقد أحسست دائما أن الله قد حمانى من كل سوء .

أنا أعلم أن بعض رجال الدين قد أتهم فقدان بعض سلطاتهم التربوية والقضائية . وأن بعض الرجعيين منهم قد عارضوا بعض إصلاحاتى وخاصة الإصلاح الزراعى وقضية المرأة . لكننى كنت على ثقة بأن الآلاف قد وافقوا على سياستى فى مقابل تلك الحفنة الضئيلة . وتفهمت العالية ضرورة انطلاقنا بسرعة على طريق التقدم . وأعطتنى دلائل كثيرة جدا على موافقتها . إن حملة الإشاعات التى انطلقت وشجعت على التخريب . لم تبدأ من الأوساط الدينية . بل بدأت منذ نهاية ١٩٧٨ بقيادة الليبراليين واليساريين تدعمهم من الخارج جماعات اجتمع هدفها على إسقاط نظام الحكم . ولم يظهر بعض الأئمة وسط عمليات التخريب إلا فجأة مع بداية سنة ١٩٧٨ . ثم ما لبث أن استسلم بعض الأئمة وآيات الله لتيار الجنون العام . لكن غالبيتهم التزموا الصمت . إما لإحساسهم بالعجز وإما خوفا من تيار الرعب الذى استقر فى البلاد شيئا فشيئا .

ومن (نيفل لوشاتو) تمت قيادة الأضعف والأكثر سذاجة . وخرجت التعليمات من فم العجوز الذى كان يدعى أنه يتكلم باسم الله !

أنا واثق أن غالبية رجال الدين اليوم يستنكرون المثة المفروضة على شعبنا . ولا أعنى الشهداء فقط . إنما أعنى العائلات المشتتة الحائفة التى بلا مورد . والأربعة الملايين المتعطلين الذين أوجدتهم الفوضى الاقتصادية فى بلد أعطى عملا لمليون أجنبى منذ عام مضى . ان من اختاروا خدمة الله حزبهم عميق اليوم . إذ يرون الاستهانة بأقدس مبادئ الاسلام

الشيوعيون ينتظرون الساعة ! !

إنى لأتساءل عن المشاعر التى يحس بها من يحكمون إيران الآن . فهم رغم أخطائهم وجرائمهم رجال دين يستندون إلى الله . وأعنى أن يكونوا قد أدركوا أخيرا أن الثورة التى يحاولون أنها قد نجحت ليست باسم الله . إنما هى تعود بالفائدة على قوى الشر . فقد انضم إلى صفوفهم المعارضون ومحرفو الإثارة الذين تحركهم قوى خارجية لأنهم لم يجدوا فى إيران حزبا شيوعيا ينضمون إليه .

إن التحالف المشئوم بين الأحمر والأسود . قد صنع لأئمة عميان كادرات قليلة لكنها ذات فعالية . إن الحزب الشيوعى لكى يرسخ ويزدهر يحتاج إلى البطالة والبؤس والكراهية والفوضى الاقتصادية . وهى الهدية التى قدمها مطلقو الخمن الخمساء الذين يظنون أنهم يحكمون بلادنا الآن . ولا يبقى للشيوعيين الآن سوى حتى تجار حبة الأمل والغضب وتحويل الثورة إلى مصالحهم فى النهاية . إن الأئمة الذين تآمروا للقيام بتلك المغامرة المشئومة سوف يدركون أنه قد تم حصادهم . وأنهم بالرغم منهم قد حانوا من اليمين . هذا هو المستقبل الذى ينتظر بلادى إذا لم يكتب لها الله الشفاء العاجل .

البقية الأسبوع القادم

من نيفل لوشاتو خرجت تعليمات آية الله الخمينى ضدى

شهور يختار عينه الشاه رئيسا للوزراء فتامر عليه